الفصل الخامس

انتقام اليهود من الألمان يتحول إلى حقيقة تاريخية

◆◆◆

obeikandl.com

obeikandl.com

مدخل

أخيرا أثمر جهد جون ساك.. أصبحت وقائع تحقيقه الصحفي جزءا من التاريخ المعترف به في أوروبا وأقر به مؤرخون وأكاديميون بارزون واعتمدوا كتابه مصدرا موثوقا، ومنهم من اعتبره كتابا بلا ثغرات، وأكد مؤرخ أوروبي بارز هو نورمان دافيز أن جهاز الأمن الشيوعي في بولندا ضم عددا كبيرا من اليهود وأن جرائمهم الشنيعة لم تنشر على نطاق واسع بسبب الكراهية المتجذرة للألمان، وعثر باحثون على تقارير من أرشيف المحفوظات الروسية تؤكد أن اليهود تولوا ٥٠ في المئة من المناصب القيادية في جهاز أمن الدولة البولندي.. أما الحدث الأخطر فكان اعترافا علنيا على شاشة التليفزيون الإسرائيلي بأن عملية الانتقام تواصلت حتى عام ١٩٤٨، وارتكب يهود إسرائيليون جرائم قتل جماعي بحق الألمان في مناطق كانت تحت إشراف الجيش الأمريكي.

* صحف ومجلات ألمانية كلفت مؤرخين بتحري الوقائع التي ذكرها جون ساك وكتب أحدهم في «زويد دويتشه تسايتونج» إن «الكتاب ليست به أية ثغرات» وقال آخر في فرانكفورتر ألجماينه تسايتونج «إنها حقائق لا تقبل الجدل تتسم بالقسوة الشديدة لكنها حقيقية.

* أنتوني بولونسكي أستاذ التاريخ اليهودي في أوروبا الشرقية يؤكد أن دافع المؤلف هو تخليص اليهود من إحساسهم بالذنب وكتابه مساهمة كبيرة في فهمنا لتاريخ تلك الفترة.

* إسيتفان ديك أستاذ التاريخ في جامعة كولومبيا يقول إن جهاز أمن الدولة الرهيب في بولندا كان معقلا لليهود الشيوعيين وكان كثير منهم ضمن القادة الجدد

الذين تحكموا في وزارة الداخلية وجميع أفرعها.

* وقائع كتاب العين بالعين أصبحت مقبولة في التاريخ الأوروبي في مايو ١٩٩٧ عندما نشر كتاب «أوروبا.. تاريخ - بقلم د. نورمان دافيز» حيث أكد أن جهاز الأمن الشيوعي ضم عددا كبيرا من اليهود وأن جرائمهم الشنيعة لم تنشر على نطاق واسع بسبب الكراهية المتجذرة للألمان.

* أشار تقرير بأرشيف المحفوظات الروسية في موسكو عام ١٩٤٥ إلى أن اليهود يتولون ٥٠ في المئة من المناصب القيادية في جهاز أمن الدولة البولندي أي نحو ١٥٠ شخصا.

* ٤٨ رضيعا من بين ٥٠ ماتوا لأن طبيب المعسكر كيدروفسكي - أحد الناجين من الهولوكست - لم يوفر لهم الحليب بناء على أوامر من شلومو موريل.

* القناة الثانية في التلفزيون الإسرائيلي كشفت جوانب من قصص الانتقام بدواعي الفخر ببطولات المنتقمين.

* مجموعة من الإسرائيلين ذوي الأصول الألمانية سعوا إلى قتل أكبر عدد ممكن من الألمان بغض النظر عما إذا كانوا أطفالا أو نساء أو شيوخا أو حتى إن كانوا غير منتمين للحزب النازي.

* مجموعة «المنتقمين» الإسرائيليين وضعت سما في ثلاثة آلاف رغيف خبز في معسكر الماني خاضعة للأمريكان في ١٣ إبريل ١٩٤٦ على أمل أن يتناوله أكثر من ١٣ ألف شخص.

* الإسرائيلي سيماح روتم اعترف على شاشة التلفزيون أن مجموعته نجحت في تسميم نحو ٢٢٨٠ ألمانيا داخل معسكر خاضع للأمريكان واضطر الجيش الأمريكي لاستدعاء جميع سيارات الإسعاف المتاحة لإنقاذهم وأخفى الواقعة عن وسائل الإعلام.

* مجموعة «المنتقمين» الإسرائيلية استمرت في عملها حتى بعد قيام إسرائيل عام ١٩٤٨ وأصدر الرئيس الإسرائيلي وقتها حاييم فايتسمان أوامره بتصنيع السم بكميات كبيرة وإرساله لتلك المجموعة في ألمانيا.

* الإسرائيليون حاولوا تسميم محطتي مياه في منطقتي بيرنبرج وريدباخ الألمانيتين وتعطلت العملية بعد كشف وثائقهم المزورة في ميناء تولوز الفرنسي.

«الجرائم.. حقائق لا تقبل الجدل»

في ربيع عام ١٩٩٥ عندما أصبح كتاب «العين بالعين» من بين أكثر الكتب مبيعا في ألمانيا (بعد ترجمته) كلفت الصحف والمجلات الألمانية مؤرخين بالذهاب إلى الأرشيف الاتحادي الألماني في كوبلينز للتحري بشأن تلك الوقائع، وقال أحد المؤرخين في صحيفة زويد دويتشه تسايتونج إن «الكتاب ليست به أية ثغرات» وقال مؤرخ آخر في فرانكفورتر ألجماينه تسايتونج «إنها حقائق لا تقبل الجدل، وتتسم المشاهد التي صورها من أجريت معهم المقابلات في بعض الأحيان بالقسوة الشديدة، إلا أنها حقيقية، فمعظم المشاهد حسبما تحققت بنفسي في كوبلينز تنطبق بالنص مع شهادة لأحد الشهود في كوبلنز»، وكتب مؤرخ آخر تحقق من محفوظات الأرشيف الاتحادي في مجلة دير شبيجل الألمانية «المقابلات لم تخترع كما يفترض منتقدو الكتاب».

دافع المؤلف تخليص اليهود من الإحساس بالذنب

لمدة ستة أعوام أيد الباحثون في الولايات المتحدة الوقائع التي أوردها كتاب «العين بالعين»، وفي نوفمبر ١٩٩٣ كتب أنتوني بولونسكي أستاذ التاريخ اليهودي في أوروبا الشرقية في صحيفة براندیس «قرأت هذا التقرير المريع عن الأحداث التي صاحبت نهاية الحرب، وفي رأيي أن هناك سؤالين يحتاجان لإجابة، الأول عن دافع المؤلف وهنا أنا مقتنع تماما أن هدف جون ساك كما كتب بنفسه كان أكبر من مجرد

حكي تفاصيل قصة انتقام يهودي، وإنما كتابة قصة عن كيفية تخليص اليهود من إحساسهم بالذنب، والسؤال الثاني عما إذا كانت القصة حقيقية وعلى أي أساس، وهنا أيضا أنا مقتنع أن المؤلف باحث حاد، والكتاب في الحقيقة مساهمة كبيرة في فهمنا لتاريخ تلك الفترة».

ثلاثة أرباع عملاء جهاز الأمن البولندي كانوا يهودا

في فبراير ١٩٩٧ بعد ثلاثة أيام من إلغاء دعوة لجون ساك لكي يلقي محاضرة في متحف ذكرى المحرقة عن موضوعه قال إستيفان ديك أستاذ التاريخ البارز في جامعة كولومبيا في مؤتمر في لوس أنجليس تحت رعاية مركز الدراسات اليهودية بالجامعة نفسها، إن «جهاز أمن الدولة في بولندا» كان «معقلا لليهود الشيوعيين، وكان كثير من اليهود ضمن القادة الجدد الذين تحكموا في وزارة الداخلية وجهاز أمن الدولة الرهيب، وتحكموا تقريبا في جميع أفرع هذه الأجهزة وأجهزة أمن الدولة الأخرى، وجرائم البوليس السياسي البولندي الذي كان يقوده اليهود تماما، من التعذيب إلى القتل إلى تزوير نتائج الانتخابات إلى عمليات الطرد، إلى آخره كانت معروفة وتتداول على الألسن».

وتلقت وقائع الكتاب مزيدا من التأييد من جون ميكجيل الأستاذ بجامعة كولومبيا وأرنو ماير الأستاذ بجامعة برنستون، وأصبحت الوقائع التي كشفها الصحفي -المحقق جون ساك- مقبولة في التاريخ الأوروبي في مايو ١٩٩٧ عندما نشر كتاب «أوروبا.. تاريخ- بقلم د. نورمان إ. دافيز» (من جامعة أكسفورد)، حيث كتب دافيز إن «المعرفة الشعبية في بولندا كانت تؤكد باستمرار على أن جهاز الأمن الشيوعي سيء السمعة ضم عددا كبيرا من اليهود (أو اليهود السابقين) وأن جرائمهم كانت شنيعة، ونشرت بعض الحقائق الملموسة ولكنها استبعدت بسبب الكراهية (المتجذرة للألمان)، لكن ما صدر حديثا كسر محرمات راسخة، وما يجعله

أكثر إقناعا أن محققا يهوديا جمع أدلة وشهادات من شهود يهود هو الذي حقق هذه الوقائع وبهدف نبيل هو تخليص اليهود من الإحساس بالذنب، ودراسة جون ساك تستخلص إنه في عام ١٩٤٥ كان ثلاثة أرباع عملاء جهاز الأمن الشيوعي من أصل يهودي وأن المعسكرات والسجون النازية السابقة امتلأت بمدنيين أبرياء تماما وخاصة من الألمان وأن التعذيب والتجويع والضرب السادي والقتل كان عملا روتينيا وأن عدد ضحايا النظام الشيوعي من السكان الألمان يقدر بستين إلى ثمانين ألف شخص، وفي ضوء ذلك يصعب تبرير الممارسات واسعة الانتشار التي تم بواسطتها تحديد القتلة والضحايا في بولندا زمن الحرب على أساس التعاطف مع مجموعات عرقية معينة».

وفي عام ١٩٩٨ ذكر باحثون أنهم عثروا في أرشيف المحفوظات الاتحادية الروسية في موسكو على تقرير مرسل من اللواء نيكولاي سيليفانوفسكي مستشار الشرطة السرية الروسي بوزارة أمن الدولة في وارسو إلى لافرينتي بيريا رئيس الشرطة السرية الروسية في موسكو، يقول تقرير سيليفانوفسكي المؤرخ بتاريخ ٢٠ أكتوبر ١٩٤٥ إن «اليهود يتولون خمسين في المئة من المناصب القيادية في جهاز أمن الدولة البولندي»، ولم يحدد سيليفانوفسكي ما إذا كان يقصد مناصب وزارة أمن الدولة في وارسو أم في كل بولندا، أو ما إذا كان يقصد بالمناصب القيادية مجرد اثنين من القادة الكبار أو ألفين من أصحاب المناصب فيها. وفي سياقات أخرى يقصد بكلمتي «المناصب القيادية» مديري القطاعات (الأمنية) في وارسو ونوابهم في جميع قطاعات وارسو والمديرين ونوابهم في كل أنحاء بولندا، وهذا يعني نحو مائة وخمسين شخصا.

وينقل جون ساك في كتابه «العين بالعين» عن تقرير سيليفانوفسكي أن معظم اليهود في وزارة أمن الدولة سجلوا أنفسهم كمسيحيين وليس كيهود، وكتب أيضا

أن اليهود بدأوا في ترك الوزارة «ابتداء من يونيو ١٩٤٥» وفي سبتمبر ١٩٤٥ «ترك المئات من اليهود وزارة أمن الدولة» و«عادت مجموعة من اليهود إلى التوراة والتلمود وهربوا من الوزارة في ديسمبر ١٩٤٥».

وفي مايو ١٩٩٥ بعد تحقيق اللجنة الإقليمية (في كاتفيتش) حول الجرائم ضد الدولة البولندية والذي استمر ست سنوات قالت اللجنة عن المعتقل الذي كان شلومو موريل قائده إن «موريل مسئول بالتأكيد عن عدم منع الوفيات الجماعية لـ ١٥٨٣ شخصا على الأقل، وبغض النظر عن سبب اعتقالهم فقد استخدمت ضدهم نفس الأساليب التي كان يستخدمها النازيون في المعتقلات وهي وسائل للإبادة الجماعية، وتقع المسئولية الكاملة عنهم على شلومو موريل الذي لم يمنع ذلك وإنما مارس تلك الوسائل شخصيا».

في بعض المعسكرات والسجون لقي آلاف المدنيين الألمان حتفهم، وشمل ذلك الرجال والنساء والأطفال، حيث كان هناك أطفال رضع، وفي معسكر واحد كان هناك عنبر لخمسين طفلا رضيعا موضوعين في أسرة، لكن طبيب المعسكر الدكتور كيدروفسكي اليهودي -الذي كان من بين السجناء اليهود في معسكر أوشفيتس- لم يوفر لهم الحليب أو التدفئة اللازمة، بل أعطاهم كمية محدودة من الشوربة، فلقي ثمانية وأربعون طفلا من الخمسين حتفهم، وكان ذلك بناء على أوامر من شلومو موريل.

قصص الانتقام في القناة الثانية للتلفزيون الإسرائيلي

مصدر جديد يدعم ما ذهب إليه جون ساك في كتابه، المصدر هو القناة الثانية في التلفزيون الإسرائيلي التي كشفت جانبا من «الانتقام» مساء الجمعة ٢٣ ديسمبر ٢٠٠٥، فقد بثت القناة بدواعي الفخر والاعتزاز تقريرا حول ما عرف في أوساط اليهود الألمان الناجين من المعسكرات النازية باسم «المنتقمين»، أعده الصحفي

يورام بينور، يتحدث عن مجموعة من الإسرائيليين ذوي الأصول الألمانية وضعوا هدفا محددا لهم هو قتل أكبر عدد ممكن من الألمان بغض النظر عما إذا كانوا أطفالا أو نساء أو شيوخا، أو حتى إن كانوا غير منتمين للحزب النازي أو من مؤيديه.

يقول سيماح روتم المعروف باسم «كاجاك» والذي تجاوز – وقتها- السبعين من عمره «جميعنا التزم الصمت على مدى أكثر من ستين عاما، لكننا قررنا أن نتحدث فلم يعد أمامنا الكثير من الوقت، بسبب إلحاح أحفادنا.. قررنا الكشف عن أنفسنا أمامهم عسى أن يكون ذلك عبرة لهم»... «إننا مجموعة ممن تمكنوا من البقاء على قيد الحياة في معسكرات الموت الألمانية، وبحلول ربيع عام ١٩٤٥ تحول كل شيء وأصبح هدفنا قتل أكبر عدد ممكن من الألمان الذين كانوا يقتلوننا»..

بينما تقول «فتكا» وهي تحمل بين يديها حفيدتها التي تجاوزت العامين: «في تلك الفترة كانت هناك مجموعة من اليهود الناجين الذين هاجموا في منتصف الليل منازل ضباط وجنود ألمان واغتالوهم بدافع الانتقام، لكننا فضلنا أن يكون انتقامنا أوسع وأكبر...»

ويضيف «كاجاك» إن مجموعته قامت بتسميم الخبز في أحد المعسكرات الألمانية حيث وصلت عبوات مليئة بالسم «أرسنتاج» والصمغ.. و«في ١٣ إبريل عام ١٩٤٦ قمنا بدهن أكثر من ٣٠٠٠ رغيف خبز مخصص للجنود الألمان وكنا نتوقع أن يتناول هذه الكمية من الخبز أكثر من ١٣ ألف شخص».

ثم يتابع «بعد ذلك بساعات قليلة استدعى الجيش الأمريكي جميع سيارات الإسعاف التي كان يملكها لإسعاف ما يزيد عن ٢٢٨٠ شخصا تسمموا من تناول الخبز، وحرص الأمريكان على إخفاء الواقعة عن وسائل الإعلام، وحتى هذه اللحظة لا يعرف أحد عدد الجنود الألمان الذين ماتوا نتيجة التسمم، لكن إحدى الصحف الأمريكية نشرت خبرا عن مرض غامض أصاب الجنود الألمان، ولم

يعرف أحد سبب المرض»، الذي اعتبره «كاجاك» «بفخر» في شهادته على شاشة القناة الثانية للتليفزيون الإسرائيلي «نتيجة عمل وطني انتقاما من الجلاد».

وتابع «حصلنا على كميات كبيرة من السم وقررنا توسيع حجم الانتقام ووصلنا إلى مصادر المياه وكان بإمكاننا تسميمها، ما كان سيؤدي لقتل سكان مدن وقرى ألمانية كاملة، لكننا خشينا أن يشرب أصدقاؤنا الأمريكيون من هذه المياه.. لم يكن يزعجنا إطلاقا أن يموت النساء والأطفال الألمان.. لكن خوفنا أن يتسمم أصدقاؤنا هو ما جعلنا نوقف تنفيذ تلك العملية».

السم من إسرائيل مباشرة

وبعد أن انتهت الحرب العالمية الثانية وبدأ الآلاف من اليهود يغادرون ألمانيا مباشرة إلى فلسطين استمرت مجموعة المنتقمين في عملها حتى بعد قيام إسرائيل عام ١٩٤٨، وأصدر الرئيس الإسرائيلي وقتها حاييم فايتسمان أوامره بتصنيع السم بكميات كبيرة وإرساله لتلك المجموعة في ألمانيا حسب تقرير التليفزيون الإسرائيلي.

عن هذه العمليات قالت «فتكا»: «إن المؤسسات اليهودية التى بدأت إدارة شؤون الدولة أخذت تعيد النظر في عمليات الانتقام، وترددت في استمرارها لأسباب سياسية ودولية.. وقاد هذا التوجه ديفيد بن جوريون (أول رئيس وزراء في إسرائيل)». وأضافت فتكا: «للأسف هذا التردد أدى إلى إلغاء عملية كنا نعتبرها أكبر وأوسع عملية انتقام خاصة في منطقتي بيرنبرج Bernburg وريدباخ Riedbach الألمانيتين اللتين كانتا ستمحيان تماما لو نفذنا عملية الانتقام بتسميم المياه».

لكن رواية فرنسية رسمية تعيد التراجع عن تنفيذ العملية لأسباب أخرى.. مسؤولون إسرائيليون وفروا السم ووثائق سفر مزورة لمجموعة المنتقمين، لكن سلطات ميناء تولوز الفرنسي اكتشفت تزوير وثائقهم وأوقفتهم، فتخلصوا من

السم الذي كانوا يخفونه داخل معلبات أطعمة، ثم لجأوا إلى خطة بديلة.

المهم في هذا التقرير أن شهوده لم يكونوا يعبرون عن ندم أو تأنيب الضمير أبدا، بل عن فخرهم بأنهم انتقموا.. ومر التقرير دون أن يتوقف عنده أحد في العالم ولا في ألمانيا نفسها، ليمسك به دليلا حيا لمقاضاة قتلة يعترفون على شاشة التليفزيون!

من هم «أبطال» القصة

من بين مجرمي الحرب ومرتكبي الإبادة الجماعية وجرائم ضد الإنسانية الذين رصدهم جون ساك.. وآخرين قدمهم التليفزيون الإسرائيلي باعتبارهم «أبطالا»:

لولا بوتوك: بعد شهر واحد من هروبها من معسكر أوشفيتس، حملت مسدسا ألمانيا نصف آلي ثم تولت قيادة سجن يضم أكثر من ألف ألماني، معظمهم من المدنيين.. وكان هدفها الانتقام.

شلومو موريل: كان يضرب الألمان حتى الموت مستخدما أي شيء من الهراوات إلى الكراسي وعكازات السجناء الألمان المصابين بإعاقات نتيجة الحرب.

آدم كرافيكي: كان يضرب الألمان حتى «يعترفوا» بأي شيء ثم يرسلهم إلى معسكر اعتقال شلومو، وقال ببجاحة لكاهن ألماني «إنني متأكد أننا إذا حوكمنا أمام محكمة فإن القضاة سيوجهون لنا الشكر».

باريك أيزنشتاين: أول رجل ناج من معسكر أوشفيتس ينضم إلى جهاز أمن الدولة البولندي، الذي كان ثلاثة أرباع ضباطه –حسب اعترافه هو– من اليهود.. وكان يتوعد المساجين الألمان بقوله «الدماء تغلي في عروقي».

شلومو سنجر: انضم إلى جهاز أمن الدولة البولندي.. ورغم مظهره الهادئ ارتكب جرائم بشعة، ولكنه في النهاية أدرك إمكانية عقابه على جرائمه فراح يطلب من زملائه الذين يعذبون الألمان ألا يفعلوا ذلك.

حاييم شتودينبرج: مدير سجون سليسيا، استنسخ العيون الشريرة والشفاه

الملتوية لأفراد الحرس الخاص بهتلر، وكان يتوق لاستخدام نفس الحل الذي رآه هتلر بالنسبة لليهود مع الخمسة ملايين ألماني في سليسيا.

بينك ماكا: كان رئيسا لأمن الدولة في سليسيا عندما كان عمره ٢٣ عاما، ورفض السماح للصليب الأحمر بتفتيش معسكرات سليسيا قائلا «أنتم لم تساعدوا اليهود.. اذهبوا إلى الجحيم».

ياكوب بيرمان: رئيس جهاز أمن الدولة البولندى في ١٩٤٥.. أستاذ فلسفة يهودي كان يهوى ارتداء ملابس شديدة الأناقة.. في السجون التي كان يديرها مات نحو ٨٠ ألف ألماني من التعذيب.

شمعون أفيدان: انضم في شبابه للحزب الشيوعي الذي زرعه كعميل بين صفوف الحزب النازي، وهرب إلى إسرائيل بعد انكشاف أمره، وأرسله الموساد قرب نهاية الحرب العالمية الثانية لأوروبا ليتزعم جماعة «المنتقمين» التي عملت تحت ستار من السرية التامة، فقام مع مجموعته بتصفية مجرمي الحرب النازيين بعد محاكمات شوارع سريعة. وفي إسرائيل شغل منصب قائد لواء جفعاتي (من قوات النخبة) في حرب ١٩٤٨، وعينه شيمون بيريز عام ١٩٧٥ (عندما كان وزيرا للدفاع) كمراقب عام للوزارة. توفي في ١٩٩٤ عن عمر ٨٣ عاما.

يسرائيل كرمي: أحد أعضاء «المنتقمين» ولد في بولندا ١٩١٥ وتوفي عام ٢٠٠٨، وكان من المتطوعين في عصابة الهجناه الصهيونية.. ساهم في تأسيس سلاح المدرعات الإسرائيلي. وترأس مدرسة المدرعات وعين قائدا لقوات الشرطة العسكرية حتى تقاعد عام ١٩٧١.

آدم كرافيكي

باريك أيزنشتاين (مع زوجته)

شلومو سنجر (مع زوجته)

حاييم شتودينبرج

بينك ماكا

ياكوب بيرمان

obeikandl.com

شمعون أفيدان

يسرائيل كرمي

أحد مقرات جهاز أمن الدولة البولندي في عام ١٩٤٦

أحد المعسكرات المؤقتة التي بناها السوفييت في بولندا من الداخل (مايو ١٩٤٥)
وأداره أمن الدولة البولندي